٣- بين مسجدى السيدة زينب وعمرو بن العاص

بمجرد أن انتهى المصلون من أداء صلاة الجمعة ٢٨ يناير/ كانون الثانى ٢٠١١م بمسجدى: عمرو بن العاص بمنطقة مصر القديمة والسيدة زينب بوسط القاهرة.. فوجئوا بتفريق قوات الأمن لهم بالقوة، بهدف إبعادهم تماما عن التواجد بساحتى المسجدين.. ومن يعترض كان مصيره الضرب، أو إلقاء القبض عليه.

مصطفى موافى (أحد الأهالى) قال: «صلينا فى مسجد عمرو بن العاص، وبمجرد خروجنا منه سمعنا من يقول بصوت مرتفع: «متظاهرين.. إمسك.. إمسك». وهكذا اعتقلوا البعض من أهالى الحى.

تفرق الأهالى بعيدا عن المسجدين.. ولكن بدأت أعداد صغيرة منهم فى الاحتشاد. وبعد وقت قليل كان المئات قد تحركوا بعد انتهائهم من أداء الصلاة فى مساجد أخرى صغيرة قريبة بالمنطقة للانضمام إليهم قرب المسجدين العتيقين. لكنهم فوجئوا فى منتصف الطريق بجنود فى لباس مدنى، وبلطجية يقطعون عليهم الطريق، ويضربون، ويختطفون من يقع فى أيديهم منهم.

طارق نور (من سكان السيدة زينب) يروى أنهم لدى تجمعهم فى شارع «السد» للخروج فى المظاهرة فوجئوا بجنود بزى مدنى، وبلطجية تم إطلاق سراحهم من السجون من المسجلين خطر، ومعهم مطاو وأسلحة بيضاء.

يتابع: «إسقاط النظام كان مطلب الشعب.. الناس فاض بها الكيل بعد ٣٠ سنة استعباد».

فر الناس، وغالبيتهم شباب، لكنهم أعادوا تنظيم أنفسهم من جديد فى منطقة «أبو الريش» القريبة.. ثم توجهوا فى موكب واحد.. الكل يهتف: «الشعب يريد إسقاط النظام».. و«سيد قراره باطل»، فى إشارة إلى المقولة الشهيرة التى كثيرا ما تشدق بها رئيس مجلس الشعب السابق فتحى سرور، الذى هو نائبهم فى الوقت نفسه عن الدائرة، لكنهم يعتبرونه لم يقدم شيئا لها، سوى «تربيطاته» مع البلطجية.

● **ما ذنبهم؟**

معظم أهالى المنطقة فقراء، ويعملون فى الحرف البسيطة، وأكبر مشكلة يعانون منها البطالة، وسوء المستوى المعيشى. . يقول السيد (شاب) بالعامية المصرية: «مش ها نسكت. . إحنا كده كده مش شغالين. . هى تركة أبوهم. . يسيبوا البلد ويخرجوا. . مش عاوزينهم».

هالة. . (من أهالى المنطقة) أخذت تصرخ من أن غاز القنابل المسيلة للدموع وصل إلى الحوارى والأزقة، وتسبب فى حالات اختناق لكثيرين من كبار السن والأطفال . . وتتساءل: «ما ذنبهم؟».

فيما يقول أحمد عنتر: «حتى رجال الأمن لا يتركوننا فى حالنا. . يفرضون الإتاوات، ويقولون بعد أن يأخذوا هُوية الواحد منا: «شوف نفسك»، ومعناها منحهم مبلغا ماليا، وإلا فلن يرى المرء البطاقة، أو سيتعرض للاحتجاز. . لا يرحمون، ولا يتركون رحمة الله تنزل».

● **موتى وجرحى:**

سامية سامى من سكان السيدة. . تنفى أن يكون الأهالى السبب فى ما أشيع عن وفاة بعض جنود الأمن المركزى بأحداث جمعة الغضب. تقول: « أكيد اتأثروا من كثرة القنابل، والمجهود الذى بذلوه فى الاعتداء علينا». وتتابع: «عساكر الأمن المركزى أجسادهم هزيلة. . أكيد اتخنقوا من الغازات».

فى المقابل، هذا مصطفى شرعى «تاجر ملابس» عمره ٥١ عاما. . ولقى حتفه من آثار استنشاق تلك الغازات. . وتم أداء صلاة الجنازة عليه فى مسجد الجمعية الشرعية بالبساتين وسط جموع الأهالى الغضبى . . كما يروى سيد نصر درويش المحامى، وصديقه الذى كان معه لحظة وفاته، وحسب روايته أيضا تمت الاستعانة بأطباء، لكنه كان قد فارق الحياة.

وهنالك روايات أخرى للأهالى عن موتى آخرين، فضلا عن إصابات بين عشرات الشباب برصاص الخرطوش، وهو رصاص يسميه الأهالى«بلى» أو «حُبَيبى»، وهو

غاية فى الصغر، وبعضهم تمزق جسده ووجهه بهذه الرصاصات. وأخذ الناس يلوحون بقنابل الغاز المكتوب عليها: Made in U.S.A، معربين عن نقمتهم على «أمريكا» مصدر هذه القنابل، التى كان كثير منها قد انتهى عمره الافتراضى.

وفى الوقت نفسه كان المصابون يخشون نقلهم للمستشفيات الرسمية حتى لا يتم اعتقالهم من داخل المستشفيات.

عمرو (من سكان الجيارة) قال: «إنهم يضربوننا كأنهم يطاردوننا فى تل أبيب»!

بينما أعرب محمد سيد (طالب بكلية الإعلام بجامعة القاهرة) عن استيائه من خطبة الجمعة التى ألقاها الدكتور إسماعيل الدفتار فى مسجد عمرو بن العاص، إذ أخذ يطيل فى الدعاء لحسنى مبارك، مما استفزهم، وجعلهم يعتبون عليه بصوت عال بمجرد الانتهاء من الصلاة، ثائرين: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

● انسحاب الشرطة:

مع استمرار قوات الشرطة فى إطلاق القنابل والرصاص الخرطوش والمطاطى والحى على الأهالى، بدأ الشباب يأتون ببنزين، ويضعونه فى عبوات بلاستيك، ثم يلفون عليها قطعا من القماش، وهو ما يسمونه «قنابل المولوتوف»، التى أخذوا يلقونها على عربات الشرطة لتحترق، وتحيط النيران بها من كل جانب. ثم بدأوا الهجوم على قوات الشرطة نفسها. التى بدأت فى التراجع، والتقهقر أمام جحافلهم، بعد أن أصابها الإعياء والتعب، ونفدت ذخيرتها.

قرابة الساعة الخامسة مساء. أى بعد نحو أربع ساعات فقط من تلك المعركة بين الشرطة والأهالى، التى دارت فصولها بين كر وفر. بدأت تلك القوات فى الانسحاب، والانزواء، والبحث عن سبيل للفرار.

وفى خلال تقدمهم المشحون بالغضب؛ أشعل المتظاهرون قسمى شرطة السيدة زينب، ومصر القديمة، ثم أخذوا يستوقفون السيارات فى الشوارع بحثا عن أى رجل، أو سيارة شرطة، لينكلوا بمن يجدونه.

وهكذا انتهت «جمعة الغضب» باختفاء حصرى لجهاز الشرطة، ونزول وحدات الجيش قرابة الساعة السادسة مساء، وفى تلك الساعة ما بين انسحاب الشرطة، ونزول وحدات الجيش كانت عشرات من أقسام الشرطة قد احترقت عن بكرة أبيها، فيما تمكن الآلاف من المساجين من الفرار.

وبرغم ذلك ارتسمت تعابير النصر على وجوه الملايين من المصريين، وتنفسوا الصعداء.. ولم يقض مضجعهم سوى انسحاب جهاز الشرطة المهين من كل مكان، كأن عناصره، وفى مقدمتهم الضباط، «فص ملح ذاب»، مما جعل الأهالى يشكلون لجانا شعبية من أبنائهم وجيرانهم، ليبيت الجميع ليلة النصر على الذراع الأمنية الأولى لنظام مبارك.. فى حماية تلك اللجان لبيوتهم، وشوارعهم(*).

❑❑❑

(*) مقال لم يُنشر نظرا لقيام النظام المصرى بقطع خدمات الإنترنت عن مصر يوم جمعة الغضب، وما تلاه من أيام، فى محاولة بائسة منه لوقف الثورة دون جدوى.

الأهالى لدى تجمعهم الاحتجاجى
عند مسجد السيدة زينب

.. وهم يتصدون للعربات المدرعة للشرطة

.. وهم يفرون من الغازات المسيلة للدموع

.. ويعرضون عينات من القنابل
والرصاص الذى أطلق عليهم

القنابل المسيلة للدموع فى
طـريقها لبيوت الأهـالى

قوات الشرطة استسلمت فى
النهاية أمام جسارة الأهالى